

الاحد الثاني عشر من زمن العنصرة

افسس ٣: ١-١٣

متى ١٥: ٢١-٢٨

الايان والانتصار على المحن

من ثمار الروح القدس، في زمن العنصرة الايمان الراسخ بالمسيح، طيبب النفوس والاجساد. المرأة الكنعانية مثال لهذا الايمان، علماً انها وثنية، لكن الروح فاعل فيها. امتحن يسوع فادي كل انسان ايمانها وامتدحه، هذا الايمان المعطى لكل واحد من البشر اياً كان دينه او عرقه او ثقافته، والروح الذي افاضه على الكنيسة والعالم يفعل في كل العقول والقلوب. يتكلم بولس في رسالة هذا الاحد عن " سرّ المسيح، وهو ان الامم هم، في المسيح يسوع، شركاء لنا في الميراث والجسد والوعد، بواسطة الانجيل".

اولاً، القراءات المقدسة

انجيل القديس متى ١٥: ٢١-٢٨

ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ، وَانصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَا، وَإِذَا بَامْرَأَةٍ كَنْعَانِيَّةٍ مِنْ تِلْكَ النُّوَاحِي خَرَجَتْ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: "إِرْحَمْنِي، يَا رَبِّ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! إِنَّ ابْنَتِي بِهَا شَيْطَانٌ يُعَذِّبُهَا جَدًّا". فَلَمَّ يُجِيبُهَا بِكَلِمَةٍ. وَدَنَا تَلَامِيذُهُ فَأَخَذُوا يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ قَائِلِينَ: "إِصْرُفْهَا، فَإِنَّهَا تَصْرُخُ فِي إِثْرِنَا!". أَجَابَ وَقَالَ: "لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ". أَمَّا هِيَ فَاتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ وَقَالَتْ: "سَاعِدْنِي، يَا رَبِّ!". فَأَجَابَ وَقَالَ: "لَا يَحْسُنُ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ، وَيُلْقَى إِلَى جِرَاءِ الْكِلَابِ!". فَقَالَتْ: "نَعَمْ، يَا رَبِّ! وَجِرَاءُ الْكِلَابِ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفَتَاتِ الْمُنْسَاقِطِ عَنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا". حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: "أَيْتُهَا الْمَرْءَةُ، عَظِيمِ إِيمَانِكَ! فَلْيَكُنْ لَكَ كَمَا تُرِيدِينَ". وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ شَفِيَتْ ابْنَتُهَا.

امرأة كنعانية وثنية، خاطب الروح القدس قلبها، فأمنت بالمسيح ايماناً عميقاً ذهب بها الى جوهر شخصه. ادركت انه رحمة للبشر وانه هو ابن داود، المسيح المنتظر، وانه قادر على شفاء ابنتها، فصرخت اليه: " ارحمني، يا ابن داود! ان ابنتي بها شيطان يعذبها جداً" (متى ١٥: ٢٢).

اراد الرب يسوع ان يمتحن ايمانها، عندما سمعها تناديه بما يكون جوهر شخصيته ورسالته. ربما كان مدركاً، هو الذي " يعرف ما في الانسان" (يو ٢: ٢٥)، ان ايمانها كبير، وكان يريد ان يلبي حاجتها من جهة، ويمتدح ايمانها، شهادةً للجميع، من جهة اخرى.

أهملها اولاً و " لم يجيبها بكلمة". اما هي فظلت تصرخ وتطلب مساعدته. ثم اعلن انه غير معني بها وبحالة ابنتها البائسة مع شيء من التمييز العنصري، قائلاً انه " اتى من اجل بني اسرائيل". اما هي فجاءت وسجدت له متوسلةً من اجل ابنتها. اخيراً جرح كرامتها بكلام مسيء: " لا يحسن ان يؤخذ خبز البنين، ويلقى الى جراء الكلاب". اما هي بكثير من التواضع ورسوخ في الايمان وبتعالٍ عن الاساءة اجابت: " نعم يا سيّد، وجراء الكلاب ايضاً تأكل من الفتات المتساقط عن مائدة اربابها".

ان نجاحها كمؤمنة على المحن الثلاث يذكرنا بانتصار يسوع على تجارب ابليس الثلاث في البرية (متى ٤: ١-١١). كما يذكرنا بما قاله الرب يسوع عن الايمان الحقيقي به، فيشبهه "بالبيت المبني على الصخرة: اذا هطلت الامطار وفاضت الانهار، وعصفت الرياح، وصدمت ذلك البيت، فلم يسقط، لان اساسه مبني على الصخرة" (متى ٧: ٢٤=٢٥).

هذا التعليم حققته المرأة الكنعانية الوثنية، فامتدحها يسوع، ونصبها مثلاً للايمان الذي يرتضيه الله: " ايتها المرأة، عظيم ايمانك! فليكن لك كما تريدِينَ". ومن تلك الساعة شفيت ابنتها.

كلنا نمرّ بمحن وصعوبات واساءات. انها ظروف ووسائل للرسوخ في الايمان والنضوج في انسانيتنا. المرض والألم معضلتان خطيرتان تمتحن الحياة البشرية: يستطيعان حملنا الى الحسرة والانطواء على الذات، وربما بعض الاحيان الى اليأس والثورة على الله. وبامكانهما ايضاً جعل المتألم اكثر نضجاً، ومساعدته على تمييز ما ليس بجوهري في حياته، وتوجيهه نحو ما هو كذلك. غالباً ما يدفعنا المرض او المصيبة او المحنة الى البحث عن الله او الرجوع اليه. نتذكر هنا القديس فرنسيس الاسيزي الذي بدأت دعوته ورسالته من مرضه، وكذلك القديس اغناطيوس دي لويولا مؤسس الرهبنة

اليسوعية. ان يسوع، بآلامه وموته على الصليب، اعطى معنى جديداً للألم: يستطيع ان يشبّهنا به ويضمّننا الى آلامه الخلاصية. هذا ما ادركته القديسة رفاقا، وطلبتّه فكان لها، وبه تقدست.

من اجل هذه الغاية انشأ الرب يسوع في سرّ تدبيره سرّ مسحة المرضى. نجد اشارة اليه في انجيل مرقس في ممارسة الرسل الاثني عشر السلطان الذي اعطاهم اياه الرب يسوع: " كانوا يمسحون بالزيت مرضى كثيرين ويشفونهم" (مر٦: ١٣). وكان اعلانه في رسالة يعقوب الرسول: " هل فيكم احد مريض؟ فليدعُ كهنة الكنيسة، وليصلوا عليه، ويمسحوه بالزيت باسم الرب. فصلاة الايمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وان كان قد اقترب خطايا، فتُغفر له" (يعقوب ٥: ١٤-١٥).
أما مفاعيل نعمة سرّ مسحة المرض فيعدها " كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية" (١٥٢٠-١٥٢٣) وهي:

- يتحد المريض بآلام المسيح، لخيره ولخير الكنيسة جمعاء، فيصبح مرضه المكرّس بالزيت المقدس، مشاركة في عمل يسوع الخلاصي.
- ينال المريض بمسحة الروح القوة والسلام والشجاعة لاحتمال اوجاع المرض او الشيخوخة بصبر مسيحي. فيجدد الروح القدس بنعمته ايمان المريض بالله وعنايته، ويشدده ضد تجربة اليأس والخوف والحسرة امام الموت.
- ينال ايضاً غفران خطايه، اذا لم يستطيع الحصول عليه في سرّ التوبة.
- يستعد للعبور بسلام وطمأنينة من هذا العالم الى الحياة الابدية.

ثانياً، الرسالة العامة للبابا بندكتوس السادس عشر: المحبة في الحقيقة، حول الانماء البشري الشامل

الوجه الاول من الانماء الانساني هو **الانماء الاقتصادي** الذي يستلزم مشاركة الافراد والشعوب، بشكل فعّال، وبالمساواة، في الحياة الاقتصادية المحلية والدولية. يهدف الانماء الاقتصادي الى انتاج نموّ حقيقي يطال الجميع ويدوم فعلياً.

١. بالرغم من ان انماءً اقتصادياً كبيراً حصل في العالم، وانتشل من البؤس المليارات من الاشخاص، ورفع العديد من البلدان الى مستوى الفاعلين الحقيقيين للسياسة الدولية، لا بدّ من الاعتراف بأن **الانماء الاقتصادي ما زال يعاني من الفشل** بسبب اختلالات في التوازن، ومعضلات مأساوية، واستمرار الازمة الاقتصادية. هذه كلها تؤثر على مصير الانسان وعلى طبيعته. **تظهر المعاناة الاقتصادية** في ما يلي: القوى التقنية المستعملة، التبدلات الكونية، المفاعيل المضرة بالاقتصاد الحقيقي الناجمة عن نشاط مالي أسيء استعماله وأخضع للمضاربة، موجات الهجرة الهائلة التي تُثار ويتم التعاطي معها بصورة عشوائية، الاستغلال الفوضوي لثورات الارض.

كل هذه الاوضاع بحاجة الى حلول تستدعي: (١) جهوداً متجددة للتفاهم العولمي والتوافق الانساني؛ (٢) تحملاً للمسؤولية، بواقعية وثقة ورجاء، من اجل تجديد العالم على المستوى الثقافي، واعادة اكتشاف القيم الاصلية الواجب ان يُبنى عليها مستقبل أفضل؛ (٣) مواجهة الازمة الاقتصادية بوضع قواعد جديدة للمسيرة الانمائية، وبايجاد صيغ جديدة للالتزام، وبالمحافظة على الاختبارات الايجابية واقضاء السلبية منها، وبابتكار مشاريع جديدة لتعزيز الانماء الاقتصادي؛ (٤) واخيراً التحرر من الايديولوجيات التي تسيطر الامور، والتدقيق الموضوعي في البعد الانساني المرتبط بالمعضلات الاقتصادية (الفقرة ٢١ وبداية ٢٢).

٢. وبالرغم من ان الثروة العالمية تنمو بشكل مطلق، فان **انواع اللامساواة تتزايد**، الامر الذي يعرقل ويؤخر في مسار الانماء.

ففي البلدان الغنية، فئات اجتماعية جديدة تفتقر، وأنواع جديدة من الفقر تظهر، وفي المناطق الأكثر فقراً، بعض ينعم بانماء فوق الحد حيث الاستهلاك والتبذير يتلازمان ويتضاربان مع حالات البؤس الدائمة الخالية من الإنسانية. انها شكوك الاختلافات الصارخة.

على مستوى الشخصيات الفاعلة في حقل الاقتصاد والسياسة، سواء في البلدان الغنية ام في البلدان الفقيرة، ما زال الفساد وعدم احترام القوانين ساريين وبالأسف. وعلى مستوى المقاولات المتعددة الجنسية وافقار الانتاج المحلي، هناك الذين لا يحترمون حقوق العمال الإنسانية.

وثمة مشكلة المساعدات الدولية التي تحوّل عن المرسله اليهم، بداعي اللامسؤولية على صعيد الواهبين والمستفيدين على السواء.

على مستوى الملكية الفكرية، ثمة بلدان غنية تحمي ممتلكاتها الفكرية بشكل مفرط، ولاسيما في حقل الصحة، بدرجة حرمان غيرها منها. وهذا يؤثر على مسار الانماء، فضلاً عن وجود انماط السياسة تختلس الموارد من الاقتصاد والثقافة، والايديولوجيا تعمل على خنق الحريات (الفقرة ٢٣).

من واجب السلطات العامة تصحيح الاخطاء واختلال التوازنات وتقويم جديد لدورها وسلطتها للتمكن من مواجهة تحديات العالم المعاصر، من خلال اساليب ممارسة جديدة. يؤمل من وراء ذلك بروز صيغ جديدة للاهتمام والمشاركة في السياسة الوطنية والدولية وفي شؤون الدولة، ولاسيما المواطنين (فقرة ٢٤).

ثالثاً، تحضير جمعية سينودس الاساقفة الخاصة بالشرق الاوسط

من وثيقة " اداة العمل" نتناول دور المسيحيين في مجتمعاتهم (ال فقرات ٢٤-٣١).

مسيحيو الشرق الاوسط ينتمون الى مجتمعات عربية وتركية وايرانية ويهودية. وهم فيها مواطنون اصليون، وقد طبعوها بثقافة الانجيل وبالتقاليد المسيحية، واسهموا في انماؤها وتطورها كما وفي نهضتها. ان دورهم فيها، ولو قلّ عددهم، يبقى ضرورياً، ولا مجال للاستغناء عنه. فالكنيسة، بعلمانييها واكليروسها ومؤسساتها، توفر لهذه المجتمعات امكانيات كبيرة للاسهام في تنميتها الاجتماعية والحضارية، مهما كانت الصعوبات الناتجة من الانظمة التيقراطية ومن موجة التعصب الديني، ومن دورات العنف، حتى ولو اتت باسم الدين.

ان دور المسيحيين في هذه المجتمعات متنوع:

١. تعميق مفهوم الدولة العلمانية الايجابية التي تخفف من الصيغة التيقراطية اي الحكم باسم الدين، وتعزز المساواة امام القانون بين المواطنين من مختلف الديانات، وتنمي الديمقراطية السليمة، وتميز بين النظام الديني والنظام الزمني. يقتضي هذا الامر مشاركة من المسيحيين والمسلمين المفكرين والمصلين.

٢. استخدام وسائل الاتصال الاجتماعية وتقنياتها الجديدة لنشر الرسالة المسيحية، ومواجهة التحديات التي تعترضها، وللتواصل مع المسيحيين في بلدان الانتشار. فلا بدّ من اعداد كهنة اكفاء لهذه المهمة.

٣. الالتزام بخدمة الخير العام الذي يريد ان يكون المسيحيون في مجتمعاتهم " مع" الآخرين و " من اجلهم". هذا يعني البحث المستمر عن خير الآخر كأنه الخير الشخصي. يقتضي منهم الخير العام توفير مجموعة من الاوضاع الاجتماعية التي تساعد وتدعم كل كائن بشري في تنميته الذاتية تنمية شاملة. انهم في هذا السعي يعملون بدينامية وحيوية، وبايمان وروحانية، مترابطين ومتضامنين.

٤. تولي الكنيسة وابنائها اهتماماً اولياً بتنمية العائلة، وحمايتها من الاخطار التي تهدد قيمها وقدسيتها واستقرارها، وتشجيع الانجاب من اجل توفير نعمة الوجود لكائنات جديدة تنقل تراث العائلة وتاريخها وتقاليدها، وتكون هبات للمجتمع والكنيسة والوطن. ويهمّ الكنيسة، من اجل بناء مجتمع سليم، ان تنشر تعليمها الاجتماعي الذي يرسى اسس العدالة الاجتماعية والتوزيعية، والاقتصاد السليم، والانماء الانساني الشامل، فتنقّي اسباب العنف والظلم.

٥. وتنتقل الكنيسة، مع ابنائها ومؤسساتها، من المبادئ النظرية الى الاعمال من خلال ما تقوم به من نشاطات ومبادرات خيرية تجاه كل انسان او عائلة في حالة العوز، دونما تمييز بالنسبة الى

الانتماء الديني او العرقي. هذا فضلاً عن الاعمال والخدمات على مستوى الاستشفاء والشأن الصحي والتعليم. من اجل هذه الغاية، تستخدم الكنيسة اموالها الزمنية بشفاافية ومسؤولية تجاه مال الفقراء، الذين هم حصة الكنيسة و" كنزها" الحقيقي، و" اخوة المسيح الصغار".

صلاة

ايها الرب يسوع، قوّننا مثل المرأة الكنعانية على الثبات في الايمان بك، فنقوى بقوة الرجاء على المحن والصعوبات التي تعترضنا. فليذكّرنا روحك القدوس بان نور كلمتك يبدد ظلمات حياتنا، فلا نياس ولا نقنط ولا نثور امام المرض او الموت او اي محنة اخرى، بل نصمد في الايمان ونرجو تجليات رحمتك، وننضح في حبنا لك. ألهم القيمين على الشؤون الاقتصادية العامة، ليوظّفوها من اجل تحقيق الانماء الاقتصادي وتوفير سبل العيش الهانئ والكريم للجميع. وليرافق روحك القدوس بانواره الجماعات المسيحية في تحضير جمعية سينودس الاساقفة الخاصة بالشرق الاوسط، لكي يدركوا دورهم البناء روحياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً، ويلتزموا به في مجتمعاتهم المشرقية. فنرفع معهم المجد والشكران للآب والابن والروح القدس، الآن والى الابد، آمين.
